العائدية العميقة للفاعل في اللغة العربية في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة

م . م . صفاء راشد خليفة الجابري
كلية الطب–جامعة الأنبار

الكلمات المفتاحية: العائدية العميقة، نظرية الربط، البنية السطحية والعميقة

الملخص:

جاءت الدراسة لبيان ظاهرة العائدية العميقة للفاعل في اللغة العربية في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة، ولاسيما نظرية الربط ضمن النحو"التوليدي التحويلي" مع توظيف التراث النحوي العربي كونه يمثل إرثا معرفيا يصلح محاورته وإعادة قراءته.

تنطلق الدراسة من إشكالية جوهرية تكمن في طبيعة العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية في الجملة العربية، وما يترتب على ذلك من تحديد مرجعية الضمائر العائدة على الفاعل.

وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج، أبرزها: أن اللغة العربية تمتلك آليات تركيبية خاصة تحكم توزيع الضمائر العائدة على الفاعل، وأن هذه الآليات تتوافق جزئيًا مع مع مبادئ نظرية الربط، مع وجود خصائص مميزة تفرضها طبيعة العربية الإعرابية الاشتقاقية، لا سيما ظاهرة الضمير المستتر وأثرها في تقعيد العائدية.

المقدمة:

يعد الفاعل حجر الأساس في الجملة العربية، فلا يقتصر دور الفاعل على كونه اسم مرفوع يأتي بعد فعله، بل هو القطب المركزي الذي تتقاطع عنده الوظائف التركيبية والدلالية، وقد أدرك الفكر النحوي القديم الذي يأتي سيبويه على رأسه والذي قد أشار مبكرًا إلى أن الفاعل هو "المحدث عنه" والذي أُسند إليه فعله، فإن الدراسات اللغوية الحديثة قد أسهمت في فتح آفاق جديدة لفهم هذه العلاقة من خلال مفهوم "العائدية العميقة" الذي نحن بصدد دراسته.

تطرح هذه الدراسة إشكالية تتجاوز حدود الإعراب الظاهر لتصل إلى جوهر الرابطة"الضرورية أو المصاحبة" بين الحدث وفاعله؛ وهي الرابطة التي تجعل الفعل يعتمد في وجوده سواء من الناحية الفلسفية أو اللغوية، على ذات تُسند إليها، وبناءً على ذلك تهدف الدراسة إلى استكشاف مفهوم العائدية في سياق المعطيات اللسانية المعاصرة، والبحث عن إجابات لتساؤلات أساسية:

كيف يتشكل الفاعل في البنية العميقة قبل ظهوره في البنية السطحية؟ وكيف تُظهر "العائدية" كآلية ربط تربط الحدث بمصدره المعنوي والواقعي؟

استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مستفيدة من أدوات المنهج المقارن بين الأفكار التراثية والنظريات اللغوية الحديثة، مثل التوليدية والوظيفية، لكشف النقاط المتشابهة والمختلفة في تفسير رتبة الفاعل وحركته الإعرابية ودوره في إنتاج المعنى..

تطلبت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث: حيث خُصص الأول لتأصيل مفهوم الفاعل في باعتباره "المبنى عليه"، في حين تناول الثاني تجليات العائدية في اللغة العربية وبيان الأنماط التي تندرج ضمن هذا المبحث، بينما انفتح الثالث لبيان الأثر الدلالي والتداولي للعناصر الأساسية(السياق، المتلقي ، القصدية) من خلال نماذج من القرآن الكريم وكلام العرب والشعر، ثم خاتمة بين فيها الباحث أبرز ما تم التوصل إليه.

المبحث الأول: مفهوم الفاعل.

شغل مفهوم الفاعل حيزًا كبيرًا في التراث النحوي، لذلك نرى كتب اللغة والنحو قد أعطت للفاعل جانب كبير من الناحية التركيبية وقدرته على احداث الأثر في الجملة، وللحديث عن هذا الجانب من الدراسة نشرع إلى تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة أقسام:

أولًا: مفهوم الفاعل في التراث

باينت توصيفات النحاة العرب للفاعل تباينًا يكشف عن تعدد زوايا النظر إلى هذه الوظيفة، فسيبويه يرى أن "الفاعل والفعل بينهما علاقة تلازمية، ووصف الفاعل بأنه (المحدث عنه) الذي بني عليه الفعل، فالفعل لايستغني عن الفاعل، وقد أصل لتقديم الفاعل في الرتبة كونه، أولى بالتقديم من المفعول به"[(1)].

أما ابن جني فقد نظر الى الفاعل من زاوية أعمق فقال: "اعلم أن الفاعل عند أهل العربية كل اسم ذكرته بعد فعل، وأسندته، ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم. وهو مرفوع بفعله، وحقيقة رفعه بإسناد الفعل إليه، والواجب وغير الواجب في ذلك سواء، تقول في الواجب: قام زيد، وفي غير الواجب: ما قام زيد، وهل يقوم زيد. واعلم أن الفعل لابد له من الفاعل"[(2)]

عود الضمير على الفاعل:

تعاهد النحاة العرب على جملة من الشروط لصحة عود الضمير على الفاعل، يمكن إجمالها فيما يأتي:

أ. شرط التطابق: وجوب تطابق الضمير مع مرجعه الفاعلي في الجنس والعدد والشخص. ويُعدّ هذا الشرط من أقوى الشروط وأوسعها نطاقًا في الاستعمال العربي، وإن كانت العربية تُتيح أحيانًا التطابق الجزئي في حالات خاصة كجمع التكسير والتأنيث المجازي.

ب. شرط التقدّم الرتبي: أن يكون المرجع متقدمًا على الضمير في الرتبة الأصلية، وهو ما يُعادل مبدأ الهيمنة في اللسانيات الحديثة. وقد استثنى النحاة من هذا الشرط حالات كالفعل مع فاعله، والضمير المستتر، وجملة الصفة والحال.

ج. شرط الوحدة المرجعية: أن يعود الضمير على مرجع واحد لا على مرجعين أو أكثر في آنٍ واحد، وإلا وقعنا في لبس دلالي. وقد استدرك النحاة على هذا الشرط بالحديث عن الاحتمال والتأويل.

وقد أفرد الرضيّ الإستراباذي في شرح الكافية بابًا مستقلًا لمسألة عود الضمير، فناقش إشكاليات التطابق والانفصال والاتصال بعمق لافت يجعل تحليله من أغنى ما أنتجه التراث النحوي في هذا الشأن[(3)].

ثانيًا: الفاعل في اللسانيات الحديثة.

اهتمت النظريات اللسانيات بوظائف الجملة وكانت بذلك مستفيدة من الدرس اللغوي العربي القديم، إذ ركزت اللسانيات الحديثة على إشكاليات عديدة وذات طبيعة تركيبية ودلالية فمن الناحية التركيبية يحتل الفاعل موقع تركيبي

مختلف وغير متناظر، ومن الناحية الدلالية ليس كل اسم مرفوع بعد الفعل يشتغل[4] كفاعل حقيقي، أو معنوي وإنما قد يكون فاعلًا نحويًا أو تركيبيًا.

عدّ تشومسكي الفاعل مكون أساسي في بنية الجملة العميقة، وصرح بذلك في نظرية النحو التوليدي التحويلي وبين أن الفاعل ليس مجرد موقع سطحي، بل هو عنصر فاعل يولد في مستوى البنية العميقة ويكون خاضع لقواعد تحويلية لتشكيل البنية السطحية، فعنده عنصر الحدث "الفعل" يحتاج في النظام البنيوي للجملة إلى ما سماه "عامل" وهو الفاعل كما يحتاج إلى الهدف وهو" المفعول به"، وهو بهذا الطرح يتقارب من مكونات منظومة البناء النحوي العربي [5]

يتناول هذا المسار العائدية العميقة للفاعل من ثلاثة محاور:

الأول: الفاعل بين الرفع والاسناد في الفكر النحوي القديم.

الفاعل في الفكر العربي القديم هو اسم مرفوع (أو في محل رفع) أُسند إليه فعل تام مبني للمعلوم أو شبهه، ويرتكز في النحو العربي على محورين: الإسناد" بناء الجملة" والرفع (العلامة الإعرابية) العامل فيه الفعل. ونجد عند سيبويه أن الفاعل لم يكن مجرد اسم مرفوع بل كان "المحدث عنه" الذي بني عليه الفعل، وكون الفعل يفتقر إلى التحقق بذاته مالم يسند إلى فاعل، وهنا تتجلى العائدية [6].

وقد قدم ابن يعيش الكلام عن الفاعل؛ لأنّه الأصل في استحقاق الرفع، وما عداه محمولٌ عليه، واعلم أن الفاعل في عُرْف النحويّين: كل اسم ذكرتَه بعد فعلٍ، وأسندتَ ونسبت ذلك الفعلَ إلى ذلك الاسم. ولذلك كان في الإيجاب والنفي سَواءً. وبعضهم يقول في وصفه: كل اسم تَقدَّمه فعلٌ، غيرُ مغيَّر عن بِنْيته، وأسندتَ ونسبتَ ذلك الفعلَ إلى ذلك الاسم؛ ويريد بقوله: "غير مغيرٍ عن بنيته" الانفصالَ من فعلٍ ما لم يُسَم فاعلُه. ولا حاجةَ إلى الاحتراز من ذلك، لأنّ الفعل إذا أُسند إلى المفعول، نحوَ: "ضُرِبَ زيدٌ"، وأكرم بكرٌ" صار ارتفاعه من جهةِ ارتفاع الفاعل؛ إذ ليس من شرط الفاعل أن يكون موجدًا للفعل، أو مؤثِّرًا فيه[7].

ثانيًا: نظرية الربط في اللسانيات الحديثة واسقاطها على النحو العربي: إنّ مبدأ التبعية يشكّل أساسًا مهمًا في نظرية الربط اللساني، إذ يقوم على علاقة الاعتماد بين العناصر اللغوية داخل الجملة، حيث يرتبط كل عنصر بما يسبقه أو يتبعه وفق نظام بنيوي منظم. وهذا التصور يلتقي مع التصور النحوي العربي القائم على نظرية العامل ومفهوم العمل، إذ تُفهم العلاقات النحوية بوصفها روابط بين الفعل وفاعله، والصفة وموصوفها، والخبر ومبتدئه.

ونظرا لأهميته أعادت اللسانيات الحديثة، ولاسيما عند تشومسكي في إطار الربط العاملي، توظيف هذا المبدأ لتقديم تفسير صوري دقيق للبنية اللغوية، بما يسمح بتجاوز الإشكالات التركيبية المعقّدة، مما يكشف عن تقاطعٍ عميق بين الرؤية اللسانية الحديثة والتراث النحوي العربي في فهم العلاقات داخل الجملة[8]

تعد ظاهرة الربط في اللغة ركيزة أساسية لإنشاء الجملة أو النص، فلا يمكن الاستغناء عن عامل الربط داخل التركيب النحوي، وبين أجزاء النص الواحد، وإن النظام العام للغة قائم على عملية الارتباط بين اللفظ والمعنى أو الدال والمدلول من جهة الدلالة اللفظية للمفردات، وهذه اللغة عندما تدخل في حيّز الاستعمال وتكون في نطاق الكلام وتشكيل الجمل، تتشخص لدينا ظواهر أخرى على مستوى التركيب يُعبر عنها بالعلاقات السياقية، التي تعتمد على القرائن، منها وجود الربط في الجملة أو النص بشكل عام.[9]

ويعد الربط قرينة لفظية وظاهرة تركيبية، تثبت وتؤكد العلاقة المتينة بين الكلمات والجمل في السياق، فتوجد روابط تؤكد هذه أنواع العلاقة سواء أكان على مستوى المفردة الواحدة أم على مستولى التراكيب في الجمل التي تقع فيها، وهذه الروابط اما لفظية، واما معنوية، فاللفظية تكون أوضح ظهورًا في الكلام منها في المعنوية، ومن أمثلة الروابط، العلاقات الاسنادية القائمة بين أن تكون فعلية كالربط بين الفعل وفاعل[10].

ثالثًا: التمييز بين الفاعل النحوي والفاعل الحقيقي:

يرى جمهور النحاة أن تعريف الفاعل لا يقتصر على "من فعل الفعل" فقط، بل يشمل "من اتصف به".

فالفاعل الحقيقي مثل "كتبَ الطالبُ الدرسَ"؛ فالطالب هو من باشر الكتابة.

أما الفاعل(النحوي): مثل "ماتَ الرجلُ" أو "مرضَ الطفلُ"؛ فالرجل لم "يفعل" الموت، بل "حلَّ" به الموت واتصف به، فأسندنا الفعل إليه لغويًا.

والفاعل النحوي مرفوع دائمًا، لكنه قد لا يكون الفاعل الحقيقي للفعل في الواقع، مثال "تحرك الشجرُ": كلمة "الشجرُ" فاعل نحويًا، لكنها لم تحدث الحركة بنفسها، الفاعل الحقيقي هو من أوجد الفعل وأحدثه حقيقة، مثل "الهواء" في جملة "حرك الهواء الشجر"، النحاة يركزون على العلامة اللفظية (الرفع) في تعريف الفاعل، حتى لو لم يكن فاعلًا حقيقيًا، هناك فرق جوهري بين الإعراب النحوي والمعنى اللغوي الواقعي للفاعلية[11].

المبحث الثاني: تجليات العائدية العميقة للفاعل في اللغة العربية: تتجلى العائدية العميقة للفاعل في اللغة العربية بوصفه الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الجملة الفعلية، والعمود الفقري لبنائها الإسنادي، فهي تعكس ارتباطًا وثيقًا بين الفعل ومن أحدثه، وتتجلى دلاليًا في اسناد الحدث إلى فاعله الحقيقي أو الاعتباري، مما يمنح الكلام ترابطًا واتساقًادلاليًالايمكن الاستغناء عنه.

يستعرض هذا المبحث أنماط رئيسة للعائدية العميقة تتمثل في:

أولًا: الضمائر العائدة على الفاعل: تأخذ الضمائر مكانة رئيسة فيمجال العائدية ، وتعد الوسيلة الأكثر شيوعًا للإحالة على الفاعل في العربية، ويمكن تقسيم الضمائر العائدة على الفاعل إلى قسمين رئيسين: أ – الضمائر المتصلة: وهي التي تلازم الفعل أو الأسم، مثل "ضمير الرفع البارز في نحو:محمدٌ كتبَ رسالتَهُ"

فالضمير(ه) يعود على الفاعل(محمد) عائدية في الجملة البسيطة [12].

ب- الضمائر المنفصلة : ويشيع هذا النمط في التراكيب الاستئنافية والتوكيدية، نحو(هو الذي فعلَ) وتستوجب العائدية لهذا النمط توافقًا جازمًا بين الضمير ومرجعه، وهومايعرف بظاهرة المطابقة، التي تعد من العلامات الجوهرية في اللغة العربية[13]

ثانيًا: عائدية الفاعل المستتر الواجبة والجائزة:

يُعدّ الفاعل المستتر ظاهرة فريدة في العربية كونه يحذف لفظًا ويبقى تقديرًا في البنية العميقة، وينقسم الاستتار من حيث العائدية إلى أ: الاستتار الواجب: يكون هذا القسم مع الفعل المسندإلى ضمير المتكلم أو المخاطب، نحو(أكتبُ) والتقدير "أنا" وفي هذه الحالات لايجوز أن يظهر الضمير المرفوع في الفعل المضارع والماضي المسندين إلى المتكلم والمخاطب في السياقات الإعتيادية، والعائديه في هكذا حالة تتجه صوب السياق الخطابي[14]

فهنا تلتصق العائدية بالفعل التصاقًا ذاتيًا، حيث يسكن الفاعل في بنية الفعل الصرفية. هنا تكون العائدية "ذاتية مرجعية" لا تحتاج إلى مفسر خارجي لأن الصيغة الصرفية (المضارعة) تحمل سمات الفاعل، فإذا صح أن يقدر الضمير المستتر بضمير منفصل كان استتار الضمير واجبًا، ففي "أكتبُ" الضمير محذوف وجوبًا ويقدر بالضمير المنفصل "أنا"، وهكذا مع بقية صيغ الأفعال يقدر ضمير حسب بنية الفعل.

ب - الاستتار الجائز: (مثل: محمدٌ ذهبَ)، تتحقق العائدية عبر "الربط الرجعي" فالفعل "ذهب" يحوي فاعلًا مستترًا تقديره (هو)، يعود عميقًا على "محمد". هذا الربط ليس مجرد قاعدة نحوية، بل هو "خيط دلالي" يمنع تفكك النص.

ويؤكد ابن هشام أن الضمير المستتر: (هو ما لم يُذكر في اللفظ، وتعين بالقرينة أو العرف أو بنية الفعل)، موضحًا أن الفعل وحده لا يستقل بالدلالة على فاعله إلا من خلال علامات صرفية كالتاء أو الألف أو النون التي تميّز المتكلم والمخاطب والغائب [15]

ثالثًا: الروابط داخل الجملة المركبة: تتمثل هذه الروابط بالأدوات والضمائر التي تربط بين الجمل الأساسية والجمل الفرعية، وتشترط فيه وجود رابط أو "عائد" يربط الجملة الفرعية بما قبلها، وتتكون هذه الروابط من عناصر عديدة منها: (الضمائر بأنواعها، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، وحروف العطف وغيرها).

فالضمائر هي أكثر الروابط استخداماً في التركيب العربي، فقد اتسع استخدام الضمير وامتدت دائرته فتجده في الصفة المشبهة رابطاً، وفي البدل والتوكيد كما تجده في الظرف والجار والمجرور وكذلك في الجمل الخبرية والحالية وجملة الصفة، فتجد مثلاً في جملة (لما جاء محمدٌ أكرمتُه)، حيث يعود الضمير (ه) في جملة أكرمتُه على الفاعل "محمد" في الجملة الأولى[16]

أما الأسماء الموصولة فتتطلب وجود جملة صلة تحتوي على ضمير "عائد" يربطها بالفاعل الموصول، ففي جملة (حضر الكاتبُ الذي ألّف الكتاب)، فالاسم "الذي" يربط جملة الصلة بالقاعل "الكاتب" والضمير المستتر في "ألّف" (هو) يعود على "الذي" ليوجّه المعنى نحو الفاعل الأول[17]

وبيّن ابن هشام أن اسم الإشارة قد ينوب عن الضمير في الربط الدلالي، إذا كان المشار إليه هو الفاعل في قولنا "جاء الصالح، فذلك يُكرِمه الناس" فالرابط هنا هو اسم الإشارة "ذلك" الواقع في الجملة الثانية، وهو يعود على فاعل الجملة الأولى "الصالح"[18].

تشكّل حروف العطف كـ"الواو" و"الفاء" و"ثم" رابطاً محورياً داخل الجملة المركبة، إذ تحدد مسار علاقة الفاعل المشترك بين الجمل المتسلسلة؛ فحين نقول "جاء زيدٌ وضربَه عمرٌو" يعود... فاعل الضمني في "ضرب" إلى "زيد" لا إلى "عمرو" بحكم التضام الرتبي والعطف المباشر، وتختلف هذه العائدية بحسب طبيعة حرف العطف ودلالته الزمنية والسببية؛ فـ"الفاء" تقرض تتابعاً فورياً يعزز ربط الفاعل نفسه بالفعلين كقولنا "دخل محمدٌ فجلس"، بينما قد تُتيح "أو" تعدداً في تأويل الفاعل العميق في سياقات الاختيار والإباحة[19].

رابعًا: العائدية في أسلوب الحذف والتقدير (القرينة السياقية)

فالمراد (بالحذف): إسقاط بعض الصيغ الموجودة في النص سواء بقي التركيب بعد الحذف على ما كان له من إعراب أو تغيرت حركته لتتناسب مع وضعه الإعرابي الجديد، (أما التقدير) فهو: وسيلة يتوسل بها النحاة لإظهار عناصر محذوفة ما يعني إعادة تشكيل النصوص اللغوية بما يجعلها توافق القواعد المقررة. ولما كانت العربية لغة الإيجاز كان الطريق إلى أدائه الحذف؛ لأن "ما يُحذف من اللفظ للدلالة فبمنزلة المثبت فيه"؛ بل قد يكون الحذف أزيد للإفادة من الذكر[20]

ولما كان الحذف والتقدير من مظاهر الترتيب اللغوي فهو لا يورد المنتظر من الألفاظ، وهو لذلك يقود المتلقي إلى محاولة توقع المقصود، ويؤدي ذلك إلى حدوث تفاعل بين المرسل والمتلقي، قائم على الإرسال الموجز من المرسل، ومحاولة المتلقي تقدير هذا الإيجاز[21]

ويشترط النحاة والعلماء شروطًا لوقوع الحذف النحوي، وتتلخص فيما يلي:

*دليلًا مقاليًا: لفظيًا يسبق المحذوف أو يذكره، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا خَيْرًا﴾ [النحل: 30]، أي: "أنزلوا خيرًا".

*دليلًا حاليًا: يفهم من سياق الحال والملابسات المحيطة بالكلام، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾.

*دليلًا عقليًا: يفهمه العقل ويدركه دون ذكره.

*أمن اللبس ووضوح المعنى: يجب ألا يؤدي الحذف إلى إبهام المعنى أو خلطه، فإذا كان الحذف يفسد المعنى، وجب الذكر[22].

اللغوية بما يجعلها توافق القواعد المقررة. ولما كانت العربية لغة الإيجاز كان الطريق إلى أدائه الحذف؛ لأن "ما يُحذف من اللفظ للدلالة فبمنزلة المثبت فيه"؛ بل قد يكون الحذف أزيد للإفادة من الذكر[23].

خامسًا: العائدية في ضوء اللسانيات التوليدية التحويلية: تعدّ العائدية العميقة للفاعل من أبرز المفاهيم التي أسهمت اللسانيات التوليدية التحويلية في تأسيسها وتطويرها، إذ انطلق تشومسكي في إطاره النظري من التمييز الجوهري بين البنية السطحية التي تمثّل الصورة الصوتية الظاهرة للجملة، والبنية العميقة التي تُضمر العلاقات الدلالية والنحوية الحقيقية بين مكوناتها[24].

وفي هذا السياق، فإن الفاعل العميق قد لا يتطابق دائمًا مع الفاعل السطحي، كما يتجلى في الجمل المبنية للمجهول أو في تراكيب الرفع والتحكم، حيث يظل الفاعل الحقيقي للفعل مضمرًا في البنية العميقة بينما يحتل موضعًا مختلفًا أو يغيب كليًا على السطح[25].

وعلى صعيد التطبيق على العربية، "أثبتت الدراسات أن البنية العميقة للفاعل في الجملة الفعلية العربية تكشف عن علاقات إسناد خفية لا تظهر على السطح، مما يجعل التحليل التوليدي أداةً منهجية فاعلة في فهم التراكيب المعقدة كالجمل المركبة بالعطف والجمل الشرطية[26].

المبحث الثالث: الأثر الدلالي والتداولي للعائدية العميقة في الخطاب:

تعد العائدية العميقة للفاعل ركيزة أساسية في بناء الخطاب، فهي تتعدى حدود التركيب الظاهري لتغوص في البعدين الدلالي والتداولي، يرتبط الفاعل -سواء كان حاضرًا في البنية السطحية أم مقدرًا- بنسق أعمق يحمل دلالات متجددة تسهم في فهم أفعال المتكلم وتأويلها. ويتجلى الأثر الدلالي والتداولي لهذه العائدية من خلال تفعيل العناصر التواصلية الأساسية الآتية:

1. المقام (السياق التخاطبي):

لا يمكن فهم العائدية العميقة للفاعل بمعزل عن المقام، فكل ملفوظ لغوي يستمد قيمته من السياق الذي يكتنفه (الزماني، المكاني، والحالي)، فالمقام هو الذي يُوجّه المعنى ويثبّت العائدية. فعندما يعود الفاعل العميق على ذات متكلمة في ظروف معينة، يُسهم المقام في تحويل الملفوظ من مجرد بنية نحوية جامدة إلى حدث ديناميكي حي يعكس طبيعة الموقف التواصلي، ويحدد مدى مطابقة الخطاب لمقتضى الحال[27] يتجلى ذلك في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا). الفاعل الظاهر في الجملة الثانية هو (الرأس)، لكن العائدية العميقة للفاعل تُحيل إلى "شيب شعر زكريا عليه السلام". المقام هنا (مقام الدعاء، الانكسار، والضعف البشري أمام القدرة الإلهية) هو الذي يُوجّه هذه العائدية لتبين أن الفاعل الحقيقي للوهن والشيب هو ذات النبي المتقدمة في السن، مما يمنح الخطاب بعدًا تداوليًا يستدر عطف الإجابة[28]

2. المتلقي (التأويل والاستجابة):

يُمثل المتلقي القطب الفاعل في العملية التداولية، فالعائدية العميقة وُجدت لتصل إليه وتؤثر فيه. يمارس المتلقي دورًا تأويليًا نشطًا عبر تفكيك الخطاب واستجلاء الفاعل العميق الذي يقصده المتكلم. وبناءً على الخلفية المعرفية للمتلقي وحالته النفسية والاجتماعية، تتشكل الاستجابة التي تعكس نجاح أو (فشل) الخطاب في إيصال رسالته، مما يجعل الفاعل العميق أداة لتوجيه قناعات المتلقي ومواقفه[29].

يظهر هذا الأثر في قول المتنبي:

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي ... وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

الفاعلان الظاهران في شطري البيت هما (الأعمى) و(كلماتي)، لكن العائدية العميقة والمركزية للخطاب تعود على فاعل واحد وهو (أنا المتنبي). هنا يجبر الشاعر المتلقي على تشكيل تأويل يرتكز على الإعجاز الفني؛ فالأعمى والأصم يتحولون بفعل العائدية العميقة إلى شهود مجبرين على الاعتراف بتفوقه، مما يترك أثرًا تداوليًا غايته الإفحام وزرع الهيبة في نفس المتلقي[30].

3. القصدية (الغايات والأفعال الإنجازية):

ترتبط العائدية العميقة للفاعل ارتباطًا وثيقًا بقصدية المتكلم؛ فاللغة في جوهرها ممارسة قصدية. إن توجيه الفاعل نحو مرجعيات محددة في البنية العميقة يعكس الغايات الكامنة وراء الخطاب. فالقصدية هنا تتحول من مجرد نوايا داخلية إلى (قوة إنجازية) تسعى لتحقيق أثر فعلي في واقع المتلقي (كالإقناع، الأمر، النصح، أو التأثير).

في الآية قَالَ(رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)، قصدية زكريا عليه السلام ليست الإخبار المحض بتقدم السن، بل إنجاز فعل "الاسترحام والتوسل". وفي بيت المتنبي، ليست القصدية وصف العاهات، بل إنجاز فعل "الفخر والتعالي". في الحالتين، تحركت العائدية العميقة للفاعل لخدمة هذه المقاصد التداولية.[31]

الخاتمة:

إن العائدية العميقة للفاعل في الخطاب تُشكل نقطة التقاء محورية بين المقام الذي يضبط إطارها، والقصدية التي تمنحها القوة الإنجازية، والمتلقي الذي يستقبل أثرها ويفكك شفراتها الدلالية والتداولية عبر النصوص بمختلف أنواعها.

النتائج: توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج العلمية، ويمكن اجمالها بالآتي:

1) تبين من خلال الدراسة أن اللغة العربية تمتلك بنى عميقة تحكم العائدية العميقة، وهذه الرؤية تتطابق مع ما سارت عليه نظرية الربط التوليدية التي ترأسها تشومسكي.

2) التراث اللغوي العربي لم يغفل ظاهرة العائدية للفاعل، فهو رصدها بشكل دقيق لكن لم يصطلح لها ما اصطُلح حديثًا من مفاهيم، والمتتبع يرصد مفاهيم مثل "عود الضمير" و" الأستتار الواجب والجائز" التي تنطوي على إشارات بنيوية عميقة.

3) إن الضمير المستتر في النحو العربي يشكل خاصية مفتاحية فريدة يتميز بها عن كثير من اللغات، فالتعامل معه ك "عنصر حاضر غائب" يعطي تفسيرًا يوحد بين المستوى النحوي الوظيفي والتوليدي الرمزي.

4) إن المقاربة التي تجمع بين منهجية التراث النحوي العربي وأدوات النظرية التوليدية هي الأنجع لاستيعاب خصوصية اللغة العربية واكتساب الكم المعرفي الناتج عن اللسانيات الحديثة.

5) تلعب العائدية العميقة دورًا جوهري في فك الالتباس الحاصل في الجملة وتعمل كموجه دلالي لحسم تأويل النص، وذلك عبر السياق المقامي وتحويل القوة الإنجازية إلى أثر فعلي في المتلقي.

الهوامش:

---

1) سيبويه، الكتاب ، ش السيرافي (2008) م، ت، أحمد حسن، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ج1، ص261-262

2) ابن جني أبو الفتح بن عثمان، اللمع ت فائز فارس، ن دار الكتب الثقافية - الكويت ص 119.

3) الساقي فاضل مصطفى (1997) م أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 60-70.

4) الغريسي محمد (2013)، تعليمية التراكيب اللغوية في تفسير الظواهر اللسانية ظاهرة الفاعل والمفعول نموذجاً مقال على النت.

5) بوجمعه، شايطه/ الحدث في اللسانيات الحديثة، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مقال منشور على النت، العدد 9ص4

6) سيبويه، الكتاب، ص33.
7) ابن يعيش، المفصل ط عالم الكتب " بيروت" ت اميل بديع يعقوب جزء 1، ص 199- 200.
8) العلوي شفيقه (2007) العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنعوم تشومسكي، مجلة حوليات التراث العدد7، ص11-12.
9) البديري رياض كريم "(2022) بناء الجمل نحوياً ودلالتها على الربط. مجلة العلوم الإنسانية وآدابها عدد37، ص313
10) موسى يلدز- غسان مصطفى/ (2023) مفهوم الربط في الجملة العربية، مجلة اللسانيات العدد2 صفحة 5
11) عباس حسن/ النحو الوافي ط15، دار المعارف ج2، ص 512).
[12] ينظر:تمام حسان،(2006) اللغة العربية معناها و مبناها، القاهرة عالم الكتب،ص211-225 وينظر: فاضل السامرائي الجملة العربية والمعنى(200)، دار ابن حزم، بيروت، ص78-95.
[13] ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناهاوعبده الراجحي النحو العربي والدرس الحديث(1979) دار النهضة ، بيروت، ص134.
[14] ينظر: ابن هشام الانصاري (1985) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت: مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ص593
[15] ينظر: اسود قاسم، من مظاهر التركيب اللغوي عند علماء العربية "ظاهرة الحذف والتقدير"، مجلة الجامعة العراقية، العدد51، ج3، ص157
[16] ينظر: صبحي الفقي، (2000)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار قباء، ج1، ص55-63.
[17] منشورات جامعة بابل موقع www.uobabylon.edu.iq
[18] ينظر: ابن هشام الانصاري (1985) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت: مازن المباركومحمد علي، دمشق دار الفكر، ج2، ص491
[19] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1984)، من 120-135.وينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها (القاهرة: عالم الكتب، 2006)، 214- 218
[20] ينظر: اسود قاسم، من مظاهر التركيب اللغوي عند علماء العربية "ظاهرة الحذف والتقدير"، مجلة الجامعة العراقية، العدد51، ج3، ص157
[21] المصدر السابق.
[22] ينظر: جاد الله الكريم،(2015) / الحذف والتقدير في العربية مقال على النت، شبكة الألوكة مقال عالنت.
[23] ينظر: الجرجاني، دلائل الاعجاز 135
[24] ينظر: نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروت(بغداد: منشورات وزارة الثقافة والاعلام 1980) ص45.
[25] ينظر: محمد غاليم: اللسانيات التوليدية ، دراسة في نظرية النحو الكلي" بيروت : دار الكتاب الجديدالمتحدة2010)ص 89.
[26] ينظر: عبده الراجحي، النحو اعربي والدرس الحديث(بيروت، دار النهضة العربية ، 1979) ص88- 102.
[27] ينظر: نعوم، تشومسكي (1987) البنى النحوية، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية- بغداد، ط1، ص85-88.
[28] ينظر: الزمخشري، جار الله، الكشاف(1407)هـ، دار الكتاب العربي ، بيروت،ط3،ج3، ص5.
[29] ينظر: الغذامي، عبد الله، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، النادي الثقافي، جده، ط1،ص114
[30] ينظر: طه، عبد الرحمن(2000) في أصول الحوار،وتجديد علم الكلام، المكز الثقافي العربي، الجار البيضاء، ط2، ص103.
[31] ينظر: مسعود، صحراوي(2005) التداولية عندالعلماءالعرب، دار الطليعة، بيروت، ط1،ص142.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
1) الانصاري، ابن هشام (1985) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت: مازن المبارك، دار الفكر، بيروت،
2) ابن جني أبو الفتح بن عثمان، اللمع ت فائز فارس، ن دار الكتب الثقافية - الكويت
3) ابن يعيش، المفصل ط عالم الكتب " بيروت" ت اميل بديع يعقوب جزء 1،

4) الزمخشري، جار الله، الكشاف(1407)هـ، دار الكتاب العربي ، بيروت،ط3،ج3،
5) الساقي، فاضل مصطفى (1997) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة،
6) الغذامي، عبد الله، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، النادي الثقافي، جده، ط1
7) تمام حسان،(2006) اللغة العربية معناها و مبناها، القاهرة عالم الكتب،
8) عبده الراجحي النحو العربي والدرس الحديث(1979) دار النهضة ، بيروت،
9) سيبويه، الكتاب، ش السيرافي (2008) م، ت، أحمد حسن، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت- ج1،
10) الفقي، صبحي (2000)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار قباء، ج1
11) طه، عبد الرحمن(2000) في أصول الحوار،وتجديد علم الكلام، المكز الثقافي العربي، الجار البيضاء، ط2،
12) عباس، حسن/ النحو الوافي ط15، دار المعارف ج2، ص 512.
13) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1984)،
14) غاليم،: محمد، اللسانيات التوليدية، دراسة في نظرية النحو الكلي" بيروت : (دار الكتاب الجديدالمتحدة2010)
15) صحراوي، مسعود (2005) التداولية عندالعلماءالعرب، دار الطليعة، بيروت، ط1،.
16) موسى يلدز- غسان مصطفى/ (2023) مفهوم الربط في الجملة العربية، مجلة اللسانيات العدد2
17) نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروت(بغداد: منشورات وزارة الثقافة والاعلام 1980)

المجلات والدوريات

1) اسود قاسم، من مظاهر التركيب اللغوي عند علماء العربية "ظاهرة الحذف والتقدير"، مجلة الجامعة العراقية، العدد51، ج3،
2) البديري رياض كريم "(2022) بناء الجمل نحويًا ودلالتها على الربط. مجلة العلوم الإنسانية وآدابها عدد37.
3) العلوي، شفيقه (2007) العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنعوم تشومسكي، مجلة حوليات التراث العدد7،.

المقتبس من النت

1) الغريسي، محمد (2013)، تعليمية التراكيب اللغوية في تفسير الظواهر اللسانية ظاهرة الفاعل والمفعول نموذجًا مقال على النت.
2) بوجمعه، شايطه/ الحدث في اللسانيات الحديثة، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مقال منشور على النت، العدد 9.
3) جاد الله الكريم،(2015) / الحذف والتقدير في العربية مقال على النت، شبكة الألوكة مقال عالنت.
4) منشورات جامعة بابل موقع www.uobabylon.edu.iq

The Holy Quran

(1Al-Ansari, Ibn Hisham (1985) Mughni al-Labib 'an Kutub al-A'arib, ed. Mazen al-Mubarak, Dar al-Fikr, Beirut,

(2Ibn Jinni Abu al-Fath ibn Uthman, Al-Luma', ed. Faiz Faris, Dar al-Kutub al-Thaqafiyya - Kuwait,

(3Ibn Ya'ish, Al-Mufassal, Alam al-Kutub, Beirut, ed. Emil Badi' Ya'qub, Part 1,

(4Al-Zamakhshari, Jar Allah, Al-Kashshaf (1407 AH), Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 3rd ed., vol. 3,

(5Al-Saqi, Fadil Mustafa (1997), The Divisions of Arabic Speech in Terms of Form and Function, Al-Khanji Library, Cairo,

(6Al-Ghadhami, Abdullah, Sin and Atonement: From Structuralism to Deconstruction, Cultural Club, Jeddah, 1st ed.,

(7Tamam Hassan (2006), The Arabic Language: Its Meaning and Structure, Cairo, Alam Al-Kutub,

(8Abdo Al-Rajhi, Arabic Grammar and Modern Studies (1979), Dar Al-Nahda, Beirut

(9Sibawayh, Al-Kitab, Al-Sirafi (2008), ed. Ahmed Hassan, Ali Sayed Ali, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, Lebanon, vol. 1, pp. 261-262. 10) Al-Fiqi, Subhi (2000), Textual Linguistics: Theory and Application, Cairo: Dar Quba, Vol. 1,
(11Taha, Abd al-Rahman (2000), On the Principles of Dialogue and the Renewal of Kalam (Islamic Theology), Arab Cultural Center, Al-Jar, Casablanca, 2nd ed.,
(12Abbas, Hassan, Al-Nahw al-Wafi (Comprehensive Grammar), 15th ed., Dar al-Ma'arif, Vol. 2
(13Abd al-Qahir al-Jurjani, Dala'il al-I'jaz (Proofs of Inimitability), edited by Mahmoud Shaker (Cairo: Maktabat al-Khanji, 1984),
14) Ghaleem, Muhammad, Generative Linguistics: A Study in Universal Grammar Theory, Beirut: (Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Muttahida, 2010),
(15Sahrawi, Masoud (2005), Pragmatics among Arab Scholars, Dar Al-Tali'a, Beirut, 1st
(16Musa Yildiz - Ghassan Mustafa (2023), The Concept of Cohesion in the Arabic Sentence, Journal of Linguistics, Issue 2
(17Noam Chomsky, Syntactic Structures, translated by Youssef Abdel-Masih Tharwat (Baghdad: Publications of the Ministry of Culture and Information, 1980),
Journals and Periodicals
(1Aswad Qasim, One of the Aspects of Linguistic Structure among Arab Scholars: "The Phenomenon of Ellipsis and Implied Meaning," Journal of the Iraqi University, Issue 51, Part 3,
(2Al-Budairi, Riyad Karim (2022), Sentence Structure Syntactically and its Significance of Cohesion, Journal of Humanities and Arts, Issue 37,)
Al-Alawi, Shafiqah (2007) The Factor Between Modern Khalilite Theory and Noam Chomsky's Factorial Connection, Annals of Heritage Journal, Issue 7,
Adapted from the Internet
(1Al-Gharisi, Muhammad (2013) Teaching Linguistic Structures in Interpreting Linguistic Phenomena: The Subject-Object Phenomenon as a Model, an online article.
(2Boujemaa, Shayta / The Event in Modern Linguistics, Journal of Generation of Literary and Intellectual Studies, an online article, Issue 9,
(3Jadallah Al-Karim (2015) / Ellipsis and Implied Meaning in Arabic, an online article, Al-Aluka Network.
4) Publications of the University of Babylon, www.uobabylon.edu.iq

Deep Agency in the Arabic Language in Light of Modern Linguistic Studies

Assist. Lect. Safaa Rashid Khalifa Al-Jabiri
College of Medicine - University of Anbar
sfaa.rashed@uoanbar.edu.iq

Keywords: Subject, Deep Anaphora, Modern Linguistics, Surface Structure and Deep Structure

Summary:

This study aims to elucidate the phenomenon of "deep subject anaphora" in the Arabic language from a modern linguistic perspective. It endeavors to demonstrate how anaphora relates to "Binding Theory" within its generative-transformational framework, while drawing upon the Arabic grammatical heritage as a body of knowledge worthy of dialogue and reinterpretation

The study departs from a fundamental problematic rooted in the nature of the relationship between "deep structure" and "surface structure" in the Arabic sentence, and the implications this carries for determining the referential scope of pronouns that are anaphorically bound to the subject

The study concludes with a set of findings, most notably: that Arabic possesses distinct syntactic mechanisms governing the distribution of subject-bound anaphoric pronouns; that these mechanisms partially converge with the principles of Binding Theory; and that Arabic exhibit unique propertie covert/null pronoun (al-ḍamīr al-mustatir) and its role in regulating anaphoric reference